سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٣]

القراءات: قرأ أبو جعفر «يُسُرًا» وقرأ الباقون «يُسْرًا».

التوجيه: قرئ «يُسُرًا» بضم السين على الأصل، وقرئ بتسكين السين تخفيفًا لثقل توالي ضمتين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٢٣]

القراءات: «مثل» قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر برفع اللام وقرأ الباقون بنصبها.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «مثل» بالرفع وحينئذ يكون وصفًا لقوله «مثل» وإن أضيف إلى المعرفة فلا يخرجه ذلك عن جواز وصف المنكر به تقول رأيت رجلًا مثل عمرو لأنه لا يفيده تعريفًا لأنه في غاية الإبهام وقرئ «مثل» بالنصب ويحتمل وجهين:

أحدهما- أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى ما هو ضعيف وإلا جاز أن يقال زيد قاتل من يعرفه أو ضارب من يشتمه.

ثانيهما- أن يكون منصوبًا على البيان تقديره لحق حقًّا مثل ويحتمل أن يقال إنّه منصوب على أنه صفة مصدر معلوم غير مذكور ووجهه أنا دللنا أن المراد من الضمير في قوله «إنه» هو القرآن فكأنه قال إن القرآن لحق نطق به الملك نطقًا ﴿ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

قلتُ: بل الصواب أن يقال: القرآن حقٌّ تكلم الله به بكيفية تليق به سبحانه، والمراد من الآية: كما لا تشكون في نطقكم فكذلك فلا تشكوا في كون القرآن حقًا.

وقال أبو حيان: وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر مثل بالرفع: صفة لقوله «لحق» وباقي السبعة والجمهور بالنصب وقيل هي فتحة بناء وهو نعت كحاله في قراءة من رفع

obeikandl.com

ولما أضيف إلى غير متمكن بني، و(ما) على هذا الإعراب زائدة للتوكيد والإضافة هي إلى أنّكم (تنطقون) وقال المازني: بني (مثل) لأنه ركب مع (ما) فصارا شيئًا واحدًا ومثله: ويحما وهيما وابنما قال حميد بن ثور:

ألاهيما مما لقيت وهيما ... وويحًا لمن لم يلق منهن ويحما

قال: فلولا البناء لكان منونًا. **وقيل**: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: إنه لحق حقًا مثل ما أنكم فحركته حركة إعراب وقيل انتصب على أنه حال من الضمير المستكن في «لحق» وقيل: حال من (لحقٌ) وإن كان نكرة فقد أجاز ذلك الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني ويقول الناس: هذا حق كما أنك ههنا وهذا حق كما أنك ترى وتسمع وهذا كما في الآية وما زائدة بنص الخليل ولا يحفظ حذفها فتقول: ذا حقٌ كأنك ههنا.

وقال القرطبي: وقرأه العامة «مثل» بالنصب أي كمثل «ما أنكم» فهو منصوب على تقدير حذف الكاف أي كمثل نطقكم و«ما» زائدة، قال بعض الكوفيين: وقال الزجاج والفراء: يجوز أن ينتصب على التوكيد، أي لحق حقًا مثل نطقك فكأنه نعت لمصدر محذوف. وقول سيبويه إنه مبنى بني حين أضيف إلى غير متمكن و«ما» زائدة للتوكيد؛ قال المازي: «مثل» مع «ما» بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح لذلك. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ قال: ولأن من العرب من يجعل (مثل) منصوبًا أبدًا: فتقول: قال لي رجل مثلك، ومررت برجل مثلك بنصب مثل على معنى كمثل. وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش «مثل» بالرفع على أنه صفة (لحق)، لأنه نكرة وإن أضيف إلى معرفة، إذ لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين. و«مثل» مضاف إلى «أنكم» و«ما» زائدة ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر إذ لا فعل معها تكون معه مصدرًا. ويجوز أن تكون بدلًا من «لحق».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٢٥]

القراءات: «قال سلام» قرأ حمزة والكسائي «وسلم» بكسر السين وسكون اللام من غير ألف. وقرأ الباقون «سلام» بفتح اللام وإثبات ألف بعدها.

التوجيه: قال القرطبي: قرئ «سلام» بمعنى عليكم سلام أو ردّي لكم سلام أو أمري سلام. **قلتُ:** سلام وسلم بمعنىً، وقد مضى الكلام عليهما في آياتٍ سابقةٍ.

فائدة: قرئ بالنصب «سلامًا» ولكنها قراءة غير متواترة، وقد أبان **الرازي** الفرق بين قراءة الرفع المتواترة، وقراءة النصب غير المتواترة، فقال: قرئ بالرفع وبالنصب، أما النصب فيحتمل وجوهًا:

أحدهما- أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذ على المصدر تقديره نسلم سلامًا.

ثانيها- هو أن يكون السلام نوعًا من أنواع الكلام وهو كلام سَلِمَ به المتكلم من أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسنًا سلموا من الإثم، وحينئذ يكون مفعولًا للقول لأن مفعول القول هو الكلام، يقال قال فلان كلامًا، ولا يكون هذا من باب ضربه سوطًا لأن المضروب هناك ليس هو السوط، وههنا القول هو الكلام؛ فسره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقَان: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الوَاقِعَة: ٢٦].

ثالثها- أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره سلامًا، لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولا كان يقرب إليهم الطعام، ولما قال نكرهم وأوجس.

لأنا نقول: جاز أن يقال إنهم قالوا: نبلغك سلامًا ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن تبلغون لي السلام، وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر

العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيبتهم عظيمة، فلو ضموا إليه الأمر العظيم الذي هو من الله تعالى لانزعج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثمّ إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ اشتغل بإكرامهم عن سؤالهم وأخر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين السلام والسؤال عمن منه السلام، هذا وجه النصب.

وأما **الرفع** فنقول يحتمل أن المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضًا، وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم، وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره قال جوابه سلام.

ويحتمل أن يكون المراد قولًا يسلم به أو ينبئ عن السلامة فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمري سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بيني وبينكم لأني لا أعرفكم.

أو يكون المبتدأ قولكم، وتقديره سلام ينبئ عن السلامة وأنتم قوم منكرون فما خطبكم فإن الأمر أشكل عليّ، وهذا ما يحتمل أن يقال في النصب والرفع.

وأما الفرق فنقول أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين بمعنى التحية فنقول الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى:

أما من حيث اللفظ: فنقول سلام عليك إنما جوز واستحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة، من حيث إنه كالمتروك على أصله؛ لأن الأصل أن يكون منصوبًا على تقدير أُسلِّم سلامًا وعليك يكون لبيان من أريد بالسلام، ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان، فيكون كالخارج عن الكلام، والكلام التام أُسلِّم سلامًا، كما أنك تقول ضربت زيدًا على السطح يكون على السطح خارجًا عن الفعل، والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية. فإذا كان الأمر كذلك وكان السلام والأدعية كثير الوقوع، قالوا نعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية ونجعل لعليك حظًا في الكلام، فنقول سلام عليك، فتصير عليك لفائدة لابد منها، وهي الخبرية، ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب.

إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع مأخوذ منه، والأصل مقدم على المأخوذ منه، فقال: ﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ﴾ قدم الأصل على المتفرع منه.

أما من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الاسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلس زيد لا ينبئ عنه لأن الفعل لابد فيه من الإنباء عن التجدد والحدوث. فلما قالوا: ﴿ سَلَـٰمًا ﴾، قال سلام عليكم مستمر دائم. وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق، فإنهم قالوا قولًا ذا سلام، وقال لهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾ أي قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الأمر عليَّ. وإن قلنا المراد أمر مسالمة ومتاركة وهم سلموا عليه تسليمًا، فنقول فيه جمع بين أمرين: تعظيم جانب الله، ورعاية قلب عباد الله، فإنه لو قال: سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز أن يكونوا على غير ذلك، فيكون الرسول قد أمَّنهم، فإن السلام أمان وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلًا للأمر من غير إذن الله نيابة عن الله فقال أنتم سلمتم عليَّ وأنا متوقف؛ أمري متاركة لا تعلق بيننا إلى أن يتبين الحال. ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال في مثل هذا المعنى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ولم يقل قل سلامًا، وذلك لأن الأخيار المذكورين في القرآن لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم، وأما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو سلم عليهم لصار ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم، فقال: قل سلام أي أمري معكم متاركة تركناه إلى أن يأتي أمر الله بأمر.

وأما على قولنا بمعنى نبلغ سلامًا فنقول هم لما قالوا نبلغك سلامًا ولم يعلم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ممن قال سلام أي إن كان من الله فإن هذا منه قد ازداد به شرفي وإلا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أتشرف بسلام غيره. وهذا ما يمكن أن يقال فيه، والله أعلم بمراده، والأول والثاني عليهما الاعتماد فإنهما أقوى وقد قيل بهما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٤٤]

القراءات: «الصاعقة»: قرأ الكسائي «الصعقة» بحذف الألف وسكون العين، وقرأ الباقون: «الصاعقة» بالألف بعد الصاد وكسر العين.

المعنى والتوجيه: قال الرازي: في الصاعقة وجهان: أنها الواقعة، وقيل الصوت الشديد.

وقال القرطبي: قرئ «الصاعقة»، و«الصعقة»، يقال: صعق صَعْقًا فهو مصدر، ويقال: صعقه الصاعق وصعقته الصاعقة فهو اسم فاعل، وقال في لسان العرب: قال مقاتل: الصاعقة: الموت وقال آخرون: كلُّ عذابٍ مهلك وفيها ثلاث لغات: الصاعقة والصعقة والصاقعة، وقيل: الصاعقة: العذاب، والصعقة: الغشية والصَّعق مثل الغشي يأخذ الإنسان من الحرّ وغيره، وقال أبو زيد الصاعقةُ نار تسقط من السماء في رعدٍ شديد، والصاعقةُ صيحة العذاب، قال ابن برى: الصعقة: الصوت الذي يكون عن الصاعقة وبه قرأ الكسائي «فأخذتهم الصعقة».

وقال أبو إسحاق «فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون» الصاعقة ما يصَعَقُون منه أي يموتون، **قال ابن منظور:** الصاعقة والصعقة: الصيحة يُغشى منها على من يسمعها أو يموت، الصَّعْقُ: أن يغشى على الإنسان من صوتٍ شديد يسمعه وربما مات منه ثمّ استعمل في الموت كثيرًا، والصعقة المرة الواحدة منه.

قلتُ: فتلخص ممّا نقله أنّ الصعقة اسم مرة من الصعق، وتجيء أيضًا بمعنى الصاعقة، وتجيء كذلك بمعنى الصوت الذي يكون عن الصاعقة وتجيء بمعنى الغشية. وأمّا الصاعقة: فهي صيحة العذاب أو العذاب نفسه أو الموت وتجيء كذلك بمعنى الصعقة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٦]

القراءات: «وقوم نوح»: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف العاشر بخفض الميم عطفًا على «ثمود» وقرأ الباقون بالنصب.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «قوم» بالجر والنصب فما وجههما؟ نقول: أما الجر فظاهر عطفًا على ما تقدم في قوله تعالى «وفي عاد» «وفي موسى» تقول لك في فلانٍ عبرة وفي فلانٍ وفلانٍ وأما النصب فعلى تقدير: وأهلكنا قوم نوح من قبل؛ لأن ما تقدم دل على الهلاك فهو عطف على المحل وعلى هذا فقوله تعالى «من قبل» معناه ظاهر كأنه يقول «وأهلكنا قوم نوح من قبل» وأما على الوجه الأول فتقديره. وفي قوم نوح لكم عبرة من قبل ثمود وعاد وغيرهم.

وقال القرطبي: قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو «وقوم نوح» بالخفض أي وفي قوم نوح آية أيضًا، وقرأ الباقون بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح أو يكون معطوفًا على الهاء والميم في «أخذتهم» أو الهاء في «أخذناه» أي فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح أو ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ أي ونبذنا قوم نوح أو يكون بمعنى اذكر.

❁❁❁

obeikandl.com